

## جناح متمرد



بثينة خليفة قاسم

كاتبة من البحرين

خاصة العرب..

ماذا بعد

استراتيجية

بوش؟!!

نحن الآن أمام منحدر مهم وخطير في تاريخ المنطقة العربية وهويتها الخجلى، في الحقيقة نحن أمام ذلك المنحدر منذ حين، من قبل أن يعدم صدام، منذ أن ضربت الزعامة العربية القومية في خاصرتها، وأصبحت كعادتنا متفرجين، بانتظار من ينتشلنا من هول المفاجأة، وما أكثرها من مفاجآت!

■ أسألك: لماذا انقسم العالم العربي والإسلامي حول إعدام صدام حسين بين رافض ومؤيد؟ وهل المسألة لا تخلو من بدايات لاستراتيجية بوش الجديدة في المنطقة، تجعل المنطقة تتصارع وتتن تحت وطأة "الطائفية"، حتى فيما يخص تعاطيها مع الحدث، خصوصاً وثمة شعارات قد رددت من قبل ملثمين قاموا بعملية إعدام الراحل صدام حسين؟!

لم يحظ زعيم يمثل ما حظي به المرحوم صدام حسين الرئيس السابق للجمهورية العراقية من اهتمام وصيت ذائع بين أقرانه من الملوك والزعماء العرب بسبب مواقفه الراضية للسياسة الأمريكية ودوي صوته والقادة العرب في سبات عميق! ويرى البعض ضرورة تمحيص وتدقيق حادثة الإعدام إلى درجة عدم التغافل أو التعامي عن صورة صدام (الخائف) حينما أخرج على يد القوات الأمريكية ذات يوم من جحره المختبئ فيه وشعره ولحيته الكثة وصدام (البطل) وحبل المشنقة يلتف حول رقبته! ذلك أن الصورتين لا تتطابقان!

إنه ما من شك أن حادثة تفاصيل "المقصلة" قد تمت بإيعاز من أمريكي، صهيوني، إيراني، وبغض النظر من عدم التعامل مع ملف صدام قضائياً بعدالة، إلى جانب اختيار أول أيام عيد الأضحى المبارك لتنفيذ عقوبة الإعدام التي جاءت سريعة، بصورة دراماتيكية بعد فشل القوات الأمريكية بتحقيق مطامعها وتململ الجيش الأمريكي الذي يقدر بـ 132 ألف جندي، وذلك بترحيلهم على وجه السرعة بصورة لا تخلو من روح استعراض المنتصر على ديارهم، فكانت "المقصلة"، وما أدراك ما المقصلة، وحكاية أخرى تضاف إلى انتهاك كرامة العرب وما بقي منها من فتات!

إنه من الخطأ الاعتقاد أن صدام كان ضحية مؤامرة أمريكية خالصة بالقول: (إن أمريكا تبنته شاباً وساندته رجلاً في الظل حتى بات رئيساً للعراق ثم تقبلوه قائداً عاماً للجيش العربية وأوصلوه إلى مصائد المغفلين، حينما أوقعوه في الحفرة الأولى وهي "دخول القوات العراقية للأراضي الكويتية" إلى أن أخرجوه منها ذليلاً، منكسراً وأسرى جيشه يقبلون أحذية الجيش الأمريكي في مشهد تلفزيوني أدمى قلوب كل من شاهده، فهل من المعقول أن يصل حال الجيش الرابع في العالم إلى هذا المستوى من الانكسار!؟).

إنه من الصعوبة بمكان التصديق أن قائداً كصدام قد يقع فريسة مخططات أمريكية - صهيونية - إيرانية بتحريكه يمناً ويسرة حسبما تشتهيته الرياح الاستعمارية النتنة، وهو الذي يتوجس شراً من الولايات المتحدة ويظنها تدبر له المكائد والمؤامرات، ويأخذ عليها دعمها المطلق لإسرائيل وتسليحها المستمر لإيران من أيام الشاه إلى عهد الخميني، وما (إيرانغيت) إلا ورقة تذكركنا بضرورة العودة إلى صفحات التاريخ حيث التحالفات الدولية والقواعد الأجنبية!

وإنما هو فريسة وضحية أفكاره القومية، وعدم توظيفه حربه ليصبح مجرد آلة انقلابات ناجحة، بل إيمانه برسالة البعث العربية والإنسانية، حينما أخصب أفكاره ومبادئه مترجماً إياها إلى حقائق سياسة بمعارضته الشديدة لتسييس الدين، محذراً من أن الدولة التي تقحم نفسها في صراع ديني تحت غطاء سياسي، أو صراع سياسي تحت غطاء ديني تخسر في النهاية شعبها.. وها هي نبوءة الراحل صدام تتحقق، وها هو الشعب العراقي قد خسر وحدته وهويته العربية، والتي بالكاد كنا نشعر أن ثمة سنياً أو شيعياً في العهد الصدامي، فالجميع سواسية والجميع متجانسون إلى حد الذوبان والانصهار التام، حتى بين المسلمين والمسيحيين!

لقد طبق مفهوماً قومياً جديداً هو "الحكم الذاتي" الذي منحه للأكراد في عام 1970، واستطاع عن جدارة أن يملك اقتصاداً قوياً ورابع أقوى جيش في العالم وقيادة قوية، ورأى أن العراق الدولة الوحيدة التي تجمع بين النفط والعدد السكاني والمهياة للتخلص من التبعية الاقتصادية والعسكرية، فطالب بتوزيع الثروة العربية على كل العرب وإيجاد صيغ تكاملية بين النفط والسكان، وهذا ما كلفه الضربة الأمريكية - الصهيونية - الإيرانية القاسية! حينما بات يشكل خطراً فعلياً في المنطقة بتصديده لإسرائيل وتهديده إياها.. ويبدو لي أن ذلك ينسحب على كل إنسان يملك حساً بالكرامة ووعياً بالمسؤولية، كل إنسان تحركه أفكاره وتتحكم في آرائه، إذ هو عرضة للمحاربة والهجوم من قبل القوى التي يعمل في إطارها، حيث عقدة الاستعباد ونيل المراد! وتلك قصة أو وجع آخر!

كما أنني لا أرى أية إشكالية في التحاق الكويت بالعراق، والغاية تبرر الوسيلة.. ماذا عساه فاعلاً صدام والجميع متشبث بكرسيه وصولحانه؟ ماذا عساه فاعلاً صدام والعرب في حالة تقزم وتشردم جلي. وكيف يستطيع أن يحقق أحلامه القومية، القومية في مواجهة القوى الغاشمة؟ لماذا نتعamy عن تسمية الأشياء بمسمياتها حينما يحلونا لنا الأمر، فنُدعي أن وجود القوات الأمريكية بين ظهرائنا ضرب من ضروب الحماية؟ ثم ما الخطأ أو العيب حينما يقودنا زعيم عربي - منّا وفينا -، أليس ذلك أفضل من تبعيتنا وانسحاق هاماتنا للمستعمر الأجنبي، بمتص خيراتنا ويستنزف موارداً دوننا رحمة أو شفقة!؟

الكويت.. ما الكويت؟، البحرين.. ما البحرين؟ غداً تحولنا أمريكا وحلفاؤها إلى عراق ثان، وتتحقق الأحلام شرق الأوسطية الجديدة، حينها سندب حظنا ونبكي صداماً..

أرجو الانتباه، إيران لن تفيدينا ولا 1%، ولا بحجم شعره، ليس من منطلق طائفي - حاشا لله - وإنما إيران تحركها هواجسها وأمالها القومية ورغبتها في فرض هيمنتها وبسط نفوذها كقومية فارسة في منطقة الخليج العربي، حيث انتشار الأقليات الفارسة، وهي في ذلك غير محصورة الأطماع سياسياً أو عقائدياً أو مذهبياً. وما أحوجنا اليوم كعرب لمن يبيت فينا روح القومية العربية من جديد والهوية العربية في طريقها نحو التفرق والانفراض في ظل العولمة ومحاكاة الغرب وانتشار المد الصفي، يساعده في ذلك تكاتف مريديه وانصياعهم الأعمى لمرجعياتهم الدينية الكبرى، مع توارى الزعامة العربية القومية.

إن ما حدث قد حدث، والبكاء على اللبن المسكوب لن يجدي نفعا، نحن الآن أمام منحدر مهم وخطير في تاريخ المنطقة العربية وهويتها الخجلى، في الحقيقة نحن أمام ذلك المنحدر منذ حين، من قبل أن يعدم صدام، منذ أن ضربت الزعامة العربية القومية في خاصرتها، وأصبحت كعادتنا متفرجين، بانتظار من ينتشلنا من هول المفاجأة، وما أكثرها من مفاجآت! الحل صعب جداً واللعبة قد تعقدت كثيراً.. المسألة بحاجة إلى من يبيت في النفس العربية سابق عهداً بضرورة الشعور بأهمية التلاحم القومي، على أساس عربي إسلامي لا طائفي أو مذهبي، وذلك لن يتحقق إلا بخروج زعامة عربية وحدوية، بعيدة عن النفس الطائفي قادرة على جذب الصفوف والتفافها حولها، فأى زعيم ذلك على استعداد أن يدفع رقبته ثمناً لتطلعات وحدة الشعوب العربية وتلاحمها!؟ ■